



mar-selena@hotmail.com

## اضاءات حول البنيوية وتصنيفه الامراض النفسية وفق التحليل النفسي وتصنيفه الدليل الاحصائي التشخيصي (DSM)؟

د. مرسلينا شعبان حسن  
التحليل النفسي - سورية

"التحليل النفسي ليس علماً مقطوعاً من شجرة، ولا يهتم بالفرد المعزول عن بيئته، بل ينظر في علاقة هذا الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه وبالوضع المعيشي واللغوي والثقافي والسياسي المحيط به وبالسلطة التي يعيش الفرد في ظلها". بهذه المقولة للمحلل النفسي الشهير العلامة مصطفى صفوان أردت افتتاح دراستي هذه ..

يتقاسم الحقل العيادي النفسي منهجان يتجاذبان باستمرار ويحاول كل منهما نقد الآخر فيما يتصل في تصنيف الأمراض والرؤية العلاجية .

**التيار الأول:** هو التيار الأمريكي او ما يسمى DSM

**أما التيار الثاني:** هو تيار المدرسة البنيوية كمنهج فكري عقلائي .

**التصنيف الأول ( DSM ):** يحتل مؤخرا حظوة كبيرة من اهتمام النفسانيين من أطباء ومعالجين نفسانيين من غير الأطباء ، حتى ليعود أن يكون انجيلا لتصنيف الامراض النفسية على أسس جديدة مرتبطة بتطور الحداثة والخطاب العلمي . فهذا التصنيف الجديد اعتمد على التحولات التي طرأت على الأمراض النفسية بعدما تغيرت القواعد والنظم والأعراف الاجتماعية، إضافة الى التطور الكبير الذي طرأ على العقاقير منذ أكثر من نصف قرن، فأصبح هناك حاجة ماسة الى مرجعية وتصنيف جديد للأمراض النفسية حتى تصبح هدفا واضحا للعقاقير الحديثة او العقاقير التي ستستتبط . هذا التصنيف اتى لكي يلبي حاجات العصر بعد ان تطورت وتتنوعت العقاقير، فالاستهلاك الطبي للأدوية أصبح بحاجة الى دليل وارشاد يستعين به الأطباء. لنأخذ مثلا مرض الاكتئاب فقد كان سابقا مقتصرًا على مرض الاكتئاب P-M-D او الاكتئاب الانفرادي، أما الان فالاكتئاب يطال شريحة كبيرة في كل المجتمعات حتى كاد يسمى بمرض العصر .

التصنيف الأمريكي DSM تارة نجده يصنفه كمرض مستقل وطورا نجده يصنفه كملازم الامراض أخرى مثل الهواجس المثلية والهستيريا ..

وهذا الاكتئاب العرضي يخضع لتصنيف تقتضيه الضرورة العيادية في الزمان والمكان بغض النظر عن ارتباطه في الشخصية، فمثلا حسب تصنيف CM10 التصنيف العالمي للاضطرابات العقلية والاضطرابات المسلكية، حيث نجد ان الاكتئاب يصنف بطرق مختلفة:

حسب الزمان: حقبات اكتئابية

1- حقبة اكتئابية خفيفة مع عوارض جسدية او من دون عوارض

2- حقبة اكتئابية وسط

3- حقبة اكتئابية حادة مع ذهان او من دون ذهان

"التحليل النفسي ليس علماً مقطوعاً من شجرة، ولا يهتم بالفرد المعزول عن بيئته، بل ينظر في علاقة هذا الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه وبالوضع المعيشي واللغوي والثقافي والسياسي المحيط به وبالسلطة التي يعيش الفرد في ظلها".

ان التركيز الوصفي لاشك له فوائده في تصويب الدواء، ولاسيما حاليا في اخطأ الاضطرابات النفسية الى التشبيته، لكي يتمكّن الجهاز الطبي من إدخالها في حقل المعلوماتية

اجراء الإحصاءات والدراسات لخلق معادلة بين فعالية الدواء وزوال العوارض، على أمل ان يأتي يوم يمكن تفسير كل الاضطرابات العقلية والسلوكية على ضوء الاكتشافات البيولوجية.

ولكي يضمن التصنيف كل العوارض الاكتئابية التي لا تحل ضمن المواصفات يشير الى حقب  
اكتئابية أخرى من دون تحديد، يضيف الى ذلك اضطرابات اكتئابية مرتجة :

- خفيفة

- حالة وسط

- حالة حادة

او عندما يعجز يقول من دون تحديد ان ما يختص بالمرض الاكتئابي الأساسي المزوج P-M-D  
فإننا نجده تحت عنوان: - الاضطرابات العاطفية او المزاجية المزوجة :

- اهنياج من دون ذهان او مع ذهان

- اكتئاب من دون ذهان او مع ذهان

او اضطرابات في المزاج اكتئابية او انهياجية دورية مرتجة وكذلك حسب مدتها و تكرارها ام لا  
- وحسب ازدواجيتها بغض النظر عن أسبابها ومرجعيتها المرضية او التزامها بمرض نفسي محدد  
فهي تصنيف أني ينطلق من ضرورة إعطاء صورة فوتوغرافية، كليشي CIICHE لحالة العارض، كي  
يحدد هدفا يمكن الطبيب من وصف الادوية.

وهذا المثال النموذجي الذي أوردته حول الاكتئاب يعمم على جميع الامراض النفسية، بحيث أنه  
يخال للقارئ بأنه ليس هناك مرض نفسي أو عقلي، انما اضطرابات نفسية وعقلية وسلوكية مستقلة .  
فكل مرض نفسي نجده يقسم على مجموعة أعراض، لكي توصف كل على حدة دون إمكانية الربط  
بينهما وبين الشخصية المريضة.

ويركز بصورة خاصة على ارتباط العرض بعرض آخر بغض النظر عن أي منهجية منطقية: فقط  
لكي يعرف الطبيب إذا كان يجب عليه ان يعطي وصفة دواء لعرض واحد او مزدوج.

فمثلا وجود عارض انفصامي مع عارض اكتئابي: ويوجب إعطاء المهدئ Neuroleptique دواء  
آخر مصوب الى الاكتئاب Anti-deprsseur او اكتئاب مع عارض قلق يوجب إعطاء Anti-  
depreisseur الى جانب دواء مهدئ أي Aunedytique

كذلك الحال مع مرضى الإدمان اذ يلاحظ ان حالاته مقتصرة في تصنيفها عل المادة المدمن عليها  
الشخص: كالكحول والقهوة والحشيش والكوكائين - المواد المهلوسة - المنومات- المورفين -  
المهدئات المواد المتبخرة المهيجة والدخان وغيرها... اما عن نتائجها المرضية فنراها نرضخ  
لتصنيف آخر يفيد دون ارتباطها مباشرة بالتصنيف الأول. من مثل : النتائج الذهانية واضطراب  
الذاكرة وضررها الصحي .. ان التركيز الوصفي لاشك له فوائده في تصويب الدواء، ولاسيما حاليا  
في اخضاع الاضطرابات النفسية الى التثبيت، لكي يتمكن الجهاز الطبي من إدخالها في حقل  
المعلوماتية. واجراء الإحصاءات والدراسات لخلق معادلة بين فعالية الدواء وزوال العوارض، على  
أمل ان يأتي يوم يمكن تفسير كل الاضطرابات العقلية والسلوكية على ضوء الاكتشافات البيولوجية.

وهذا اتجاه علمي حديث مرتبط بالحدثة، فمنذ ان دخلت الامراض العقلية في حوزة الخطاب الطبي  
. بدأ هذا الاستئثار للخطاب الطبي في احتواء الامراض العقلية منذ بداية القرن التاسع عشر، عندما قام  
"بينيل Pinel" بفصل الامراض العقلية عن مرجعيتها السحرية والدينية والفلسفية، لكي يضعها في حضان  
الحقل الطبي، أي لا يوجد بعد ذلك الوقت أرواح شريرة او معتقدات دينية وراء الامراض العقلية، انما  
هذه الامراض هي طبيعية تعالج كيفية الامراض العضوية..

نشأ من خلال هذه النقلة في النظرة للأمراض العقلية اتجاهان مغايران:

الاتجاه الأول: دُعاته كانوا من العاملين في جراحة الاعصاب ، وأطباء الاعصاب المهتمين

بدأ هذا الاستئثار للخطاب  
الطبي في احتواء الامراض  
العقلية منذ بداية القرن التاسع  
عشر، عندما قام "بينيل Pinel"  
بفصل الامراض العقلية عن  
مرجعيتها السحرية والدينية  
والفلسفية، لكي يضعها في  
حضان الحقل الطبي

الاتجاه العضوي الديناميكي  
وقد اعتمد على الترتيب  
الديناميكي للوظائف العقلية  
فمنها الوظائف العليا الفكرية،  
والسفلى الحيوانية، وكل واحدة  
مقيدة وغير عقلانية

ان أي انحلال في وظيفة ما  
يؤدي الى تحرر وظيفة سفلى  
نظرا الى تأثير الأولى على  
الثانية. وهذا ما يحصل في  
الحالات المرضية .

العوارض السلبية : هي ما  
يشاهد في حالة المرض العقلي  
الناجم عن تعطل في الوظائف  
العليا

العوارض الايجابية : فنتيجة عن  
تحرر الوظائف السفلى التي

كانت مقيدة ومشدودة او مكبوتة او مغمومة بفعل القوة العليا، وفقدان هذه السلطة الضابطة، يحرر القوة السفلى من دون رادع، تنطلق من دون قيد سواء بالانفعالات المبالغة او بالتعبير الغير عقلانية

ففي حال الذهان السلبي، تعطي المهدئات الحديثة بكميات خفيفة، لأن فعاليتها تكون تحريرية

وإذا كان الذهان إيجابياً، تعطي المهدئات بكميات كبيرة، لأن تأثيرها يكون ضاغطاً حتى تقطع الطريق على تصحيحها .

حتى ان اللواط والسحاق محابا تماما عن التصنيفات المرضية، وذلك انطلاقاً من معطيات العصر التي تشير الى ان الجنسية المثلية لم تعد انحرافاً إنما خياراً جنسياً، تقتضي المثل الديمقراطية احترامه.

ويجب عن هذه العلاقة ماملين: ذاتية المريض الكامنة وراء كل ممرض وشخصية الطبيب كإنسان متكلم.

بالتشريح وبعض الأطباء النفسيين الذين أجمعوا على ان كل الامراض العقلية ناجمة عن خلل ظاهر في الدماغ او خلل غير ظاهر يطال الخلايا الدماغية ووراء انتشار مرض السفلس والاعطاب العصبية، الا ان كل الاتهامات اتجهت الى هذا المرض، وقد تأثر "فرويد" بذلك في بداية عهده بالعمل النفسي ..

الاتجاه الثاني: الاتجاه العضوي الديناميكي وقد اعتمد على الترتاب الديناميكي للوظائف العقلية فمنها الوظائف العليا الفكرية، والسفلى الحيوانية، وكل واحدة مقيدة وغير عقلانية، وكان على رأس هذا التيار Janet الذي فسر العوارض الهستيرية كونها انفلات للنوات بتعطيل الوظائف العقلانية العليا. وكذلك Jackson الذي اعتمد سنة 1863 على مفهوم علمي شامل للإنسان قائم على الوظائف العصبية ضمن ترابط نشوئي .

فالإنسان بنظره كائن حي يتحكم في العالم ضمن إطار شبه هرمي انطلاقاً من الوحدة الحسية المجسدة بالانعكاس Reflex الموجودة في القاعدة السفلى ثم صعوداً نحو تكون الطبقات العليا. وتبنى هذه النظرية على ضوء الخلل الذي يصيب طبقة ما حسب الترتاب الشرائحي لوظائف الدماغ، بحيث ان أي انحلال في وظيفة ما يؤدي الى تحرر وظيفة سفلى نظراً الى تأثير الأولى على الثانية، وهذا ما يحصل في الحالات المرضية .

فالخلل مثلاً في الدماغ (القشرة) يؤدي الى أمراض عقلية : مثال انفصام الشخصية والبارانويا والاكتئاب والانهيار العصبي.. وهذه العوارض : يصنفها جاكسون الى قسمين: سلبي وإيجابي .

أولاً- العوارض السلبية : هي ما يشاهد في حالة المرض العقلي الناجم عن عطل في الوظائف العليا: فلو أخذنا الفصام على سبيل المثال، يتبين لنا انقطاع الترابط بين الأفكار ، فتصبح غير متجانسة لأنها بحكم الضرورة فقدت الارتباط فيما بينها، الذي كان من الممكن ان يجعلها منطقية، وهذا ما يؤدي الى التراجع الفكري، وقدرة الاستيعاب والفهم والتركيز والعمل المنتظم لدى مرضى الفصام، والتي في نهاية المطاف تؤدي الى تخلف عقلي .

ثانياً - العوارض الايجابية : فنتيجة عن تحرر الوظائف السفلى التي كانت مقيدة ومشدودة او مكبوتة او مغمومة بفعل القوة العليا، وفقدان هذه السلطة الضابطة، يحرر القوة السفلى من دون رادع، تنطلق من دون قيد سواء بالانفعالات المبالغة او بالتعبير الغير عقلانية، لكي تعوض عن النقص الفكري الاولي، وهذا ما يترجم في القانون الحديث DSM

### الأولى : Psychose Productive

وهو ما يترجم عيادياً في الهلوسة والهذيان والانهياج او الاكتئاب. وإذا أطلقت في هذا المثال، فليس الا لكي أبين منشأ الفكر الحديث وارتباطاته بالتيار الفكري في تفسير وتصنيف الامراض في أواسط القرن التاسع عشر. فهذا النموذج من التصنيف لا يزال معتمد كقاعدة لتشخيص نوعية الذهان، وإعطاء العلاج المناسب، وكذلك لتجارب العقاقيرية.

ففي حال الذهان السلبي، تعطي المهدئات الحديثة بكميات خفيفة، لأن فعاليتها تكون تحريرية . وإذا كان الذهان إيجابياً، تعطي المهدئات بكميات كبيرة، لأن تأثيرها يكون ضاغطاً حتى تقطع الطريق على تهيجها .

ويبقى التساؤل مشروع في أذهان الباحثين حول ماهي النتائج العملية المرتبة على هذا التصنيف؟ رغم الفوائد العملية بالنسبة الى الدواء والإحصاءات المعلوماتية حول تسكين الاعراض، هناك أيضاً توحيد اللغة العلمية للتعامل ما بين الأطباء بعد ان كانت في السابق متعددة الاتجاهات .

ولكن كما يتبين لنا أن هذا التصنيف يترك راءه العديد من الصعوبات والتساؤلات التي لا يمكننا تجاهلها .

أولا نرى ان العديد من الامراض كونها وحدة متماسكة قد غابت عن التصنيف فالهستيريا مثلا لم يعد لها اثر يذكر سوى بعض حالات الانقلاب او الخوف Angoisse أما شخصية الهستيريا، او ما يسمى بنية الشخصية الهستيرية وتكوينها فقد ذابت او توزعت في العديد من الاعراض المسلكية والاكثابية والخوفية والجنسية، كذلك الفوبيا فلم يعد يشار اليها الا من ناحية ارتباطها في مواضعها. على صعيد الذهان ان نجد الاعراض الذهانية مقسمة ومجزئة حسب العناوين التي تأتي تحتها. فغاب عنا الانفصامي بشخصيته المميزة المنطوية،

والعظامي Parono بشخصيته المتفردة بنفسه وجنونه الى العظمة وتصلبه، وقسوته والمغلاة في أناه الذاتية. في نحن لا نجد اي أثر لشخصية الانحرافي بكل تماهياتها المرضية. حتى ان اللواط والسحاق غابا تماما عن التصنيفات المرضية، وذلك انطلاقا من معطيات العصر التي تشير الى ان الجنسية المثلية لم تعد انحرافا انما خيارا جنسيا، تقتضي المثل الديمقراطية احترامه. ولا نجد تعبيرا عنه الا في بعض الانحرافات الجنسية، او الانحرافات في الهوية الجنسية: Trausexualisme هذا الاتجاه من التصنيف يؤدي الى اختزال العلاقة بين الطبيب والمريض لتصبح العلاقة مقتصرة على ثلاثة أمور:

- علامات المرض(الاعراض)

- معرفة الطبيب

- الدواء الناجح .

وليصح باختصار دور الطبيب وشخصيته مختزلة واسيرة لإعطاء دواء .

ويغيب عن هذه العلاقة عاملين: ذاتية المريض الكامنة وراء كل عارض وشخصية الطبيب كإنسان متكلم. وهذا الكلام هو في صلب العلاقة لكي يصبح أداة فقط لتحديد علامات العارض. وفي بعض الأحيان وهناك الكثير من يعتقد انه بحكم الضرورة يكفي للطبيب ان يرى علامات المرض مسجلة أمامه، لكي يشخص ويكتب الروشنة دون حاجة الى مقابلة المريض . العلاقة قد افرغت من الذاتية الإنسانية بين الطرفين لكي تصبح شبيهة بالطب البيطري حيث المريض كلامه ومدلولات شكواه لا قيمة تذكر لها، حيث ان لغة التخاطب ليست ضرورية بين الطبيب النفسي والمريض. هذا بالإضافة ان التجارب الطبية في اختبار فعالية الادوية النفسية تقوم أصلا على الحيوان .

من ناحية ثانية: نجد ان كامل الامراض قد افرغت من شخصيتها، ولم يعد يوجد اثر لارتباط ما بين المرض وسببته. فالاهتمام انحصر على افرازات المرض الأخيرة، وعوارضه تعالج اما بالعقاقير او بالتدريب السلوكي حسب الحاجة.

أي بالمختصر افرغ العارض من أي معنى او محتوى يمكن ان يكون رسالة موجهة الى اخر: الزوج - الاب - الام - العائلة الخ... وهذا ما يؤدي الى الغاء أنسجة العلاقات الانسانية .

فالعارض أصبح على غرار المنج الطبي، جسم غريب يجب تصويب الهدف اليه وازالته يشتي الوسائل ، حتى لو اضطر الامر الى استعمال الهزات الكهربائية .. فالعوارض أصبحت في مجملها مجموعة إشارات لا رابط فيما بينها، ولا علاقة بينها وبين الذات التي تحملها .

ليطرح سؤالين ملحين هنا: هل يرضى الطبيب يتحول الى موزع أدوية؟ وهل بالإمكان تغييب ذاتيته؟ بالمقابل هل يرضى المريض ان يتخلى عن شخصيته؟ وهل يكتفي بأن يصبح العارض

العلاقة قد افرغت من الذاتية الإنسانية بين الطرفين لكي تصعب شبيهة بالطب البيطري حيث المريض كلامه ومدلولات شكواه لا قيمة تذكر لها

ان كامل الامراض قد افرغت من شخصيتها، ولم يعد يوجد اثر لارتباط ما بين المرض وسببته.

ليطرح سؤالين ملحين هنا: هل يرضى الطبيب يتحول الى موزع أدوية؟ وهل بالإمكان تغييب ذاتيته؟

هل يرضى المريض ان يتخلى عن شخصيته؟ وهل يكتفي بأن يصبح العارض المرضي معبرا عنه دون الحاجة الى لادوية؟

البنوية: تمثل بناء فكري من حيث ان كل اوصاله تربط بينها بمنطقة عقلاني يجعل الانتقال من فكرة الى فكرة عملا متجانسا يخضع لمبور البناء نفسه

المرضي معبرا عنه دون الحاجة الى لاوعيه؟ .

كلها أسئلة تؤدي إذا ما اتبعت الى مأزق دون إجابة والى منطق غير عقلاني، لأنه يقوم على أساس ان الامراض النفسية ناجمة عن أسباب عضوية بيولوجية.

علما انه لا يوجد نظرية علمية تثبت ذلك، وإذا كان التحسن عن طريق الدواء هو خير برهان على ذلك، وهناك التجارب تثبت بأن الدواء الوهمي يؤدي الى نتيجة أقل Picaubo ولكن مشابهة وفي بعض الأحيان معادلة، فعلى الأقل إذا فسر تأثير الدواء الفعلي، فمطلوب للأمانة العلمية ان يتم تفسير تأثير الدواء الوهمي. فإذا كان ذلك سببه شخصية الطبيب، فالمطلوب منه عندئذ ان يأخذها بعين الاعتبار ويفتش عن سبب ذلك في شفاء مرضاه، وان يدخلها في احصاءاته.

## المنهج الثاني في النظرة للأمراض النفسية ينطلق من النظرية البنيوية

فما هي البنيوية؟

والبنيوية: تمثل بناء فكري من حيث ان كل اوصاله تربط بينها بمنطق عقلاني يجعل الانتقال من فكرة الى فكرة عملا متجانسا يخضع لمحور البناء نفسه. وقد يسهل علينا فهم ذلك إذا اخذنا منهجية البناء المعماري. فهناك العديد من الاشكال المختلفة، ولكن كل واحدة تخضع لمنهجية متأصلة الجذور سواء في عادات وتقاليد الشعوب، او بالمناخ إذا كان حارا او باردا او في الزمان (التاريخ) والمكان. فمثلا البدو مرتبطون بالزمان ومتحررون من المكان، وكل بناء له اوصافه المبنية على أسس قد تكون في بعض الأحيان فلسفية او دينية محددة، فمثلا بناء الاهرامات يخضع لزوايا محددة في القاعدة تتطابق من أوجه متعددة، لتلقي في النهاية في رأس الهرم: وكل حجر يوضع يدخل في اطار المنهجية ويأخذ مكانه على هذا الأساس .

وهنا السؤال لماذا الهرم؟ المتعمق في النظام السياسي الذي كان سائدا في عهد الفراعنة يجد انه نظام قائم على أساس البنية الهرمية، على اعتبار ان الفرعون هو رأس الهرم حيث تلتقي عنده كل الخيوط. وهذه الصورة البنيوية ان استقطبت عقول الشعوب، فهي ليست الا اسقاطا لصورة الجسد، حيث ان القمة أي الرأس يتحكم بباقي أعضاء الجسد. وعلى هذا الأساس نجد ان كل الأنظمة السابقة للنظم الديمقراطية كانت صورتها مثل صورة الجسد، كتصور اولي لمفهوم الحكم. الحاكم هو الرأس والرعية هي الجسد. فتبدو لنا البنية في هذا المجال تجسيدا لرؤية الانسان لنفسه في المرآة. وباستطاعتنا القول ان البناء الفكري انطلق من البناء المعماري. وفي أساسه البنيوية الاجتماعية المرتكزة على البنيوية الدينية، والعكس صحيح.

قبل الأديان الموحدة معتمدة في علاقاتها مع الطبيب على عبادة الاصنام، حيث ان كل صنم يرمز الى نوع من الطقوس تقدم اليه القرابين: سواء في طلب المزيد من الخبرات (اذا كان له الزرع - المطر - الخمر او درء خطره اذا كان له من سيطرة على الحدث، والعواصف والرعد كذلك أمثلة أخرى ) أي نجد انطلاقا من الفكرة المحورية، الدين المسيحي مبني على ثلاثية في رباعية واحدة : باسم الاب والابن والروح القدس، اله واحد أمين. وهذه الفكرة كان لها الأثر البعيد في الفكر الفلسفي العربي، وكيف انتهت إليه حضارات ..

كذلك الحال بالنسبة الى الدين الإسلامي : الذي اشترط للانتماء اليه نطق الشهادتين : اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله. كذلك محور وحدوي يركز على الرسالة والرسول . فهذه النظرة الوحدوية سواء في شكلها الثلاثي او في شكلها الاحادي خلقت تغيرا، وانقلابا في المجتمعات واعتبرت تطورا ورقيا وهدى للإنسان ، لأن الواحد كبنية محورية هو أساس، وسبب في كل عملية

البنيوية تمنح موضوعا للعلوم له صفة الجمار، أي عندما نعالج مجموعة في خطاب معين، أي تغيير يطرأ على عنصر لابد ان ينعكس في تغييراته تطال كل العناصر الباقية

رغم طغيان الأيديولوجية فإنها

لم تستطع نزع نفسها عن بقية

الخطب الأخرى مثل العلم

والدين والفن .

ولم يستطع الغرب ان ينطلق في

نهضته الحديثة انطلاقا من

القرن السابع عشر. الا بعدما

استطاع ان يحرر الفكر، العلم

من ارتباطه اللاهوتي، فنشأ

الخطاب العلمي على أساس

منهجية جديدة تقوم على أساس

التجربة والاكتشاف.

ونحن نلاحظ بالمقابل بأن هناك

طغيان للخطاب العلمي على

حساب بقية الخطب مما يجعل

الانسان يعيش في بلبلة نفسية

وقلق وجودي.

ان "جانه لاكان" اتخذ اللغة

وسيلة للغور الى العالم الداخلي

للإنسان اذ يعتبرها مشكلة في

صميم الإشكالية الإنسانية.

رياضية .

من هنا يبدو ما هو طريف ومغاير في سلوك الشعوب وطقوسها الدينية، يصبح عقلاني ونطقي اذا ما قيس بارتباطه في البنيوية المؤسسة . البنيوية كما سيتبين لنا منهج أساسي في تحليل الخطاب، فهي منهج علمي يعتمد على الركائز الأساسية التي ينطلق منها أي خطاب لكي يبني نفسه. وكما يقول Levi Strauss في مقال شهير له :

البنيوية تمنح موضوعا للعلوم له صفة الجهاز، أي عندما نعالج مجموعة في خطاب معين، أي تغيير يطرأ على عنصر لا بد ان ينعكس في تغييرات تطال كل العناصر الباقية، وي طرح بالمناسبة البنية في النماذج.

وتخضع لقانون ذكي يؤلف بينها ويميزها في آن واحد عن بعضها ، فهناك اشكال كبيرة انطلاقا من الرياضيات نزولا الى الفيزياء، ومن ثم الى الكيمياء وبعدها الى علم الاحياء وهكذا ... كل خطاب يتحدد بضرورة المعرفة ينطلق ضمن اطار علمي منطقي ليفتش عن سببية الشيء في اتجاه بحثي، وعن نتائج هذه السببية في اكتشاف العالم المحيط بنا .

والسؤال الذي يطرح بجديّة هنا: هل البنيوية نظام طاغي يفرض نفسه كسبيل للمعرفة؟ الواقع يمكن ان يتحول الى ذلك إذا ما تهيأت له الأسباب كي يلغي كل المنهجيات الأخرى، بحيث يصبح في نموذج المثالية، كالفكر أيديولوجي، ليسيطر على كل القطاعات الفكرية ويحصرها بذاته كمنهج وحيد لا يمكن الخروج عنه. مثال على ذلك الأيديولوجية الشيوعية التي طغت على البلدان الاشتراكية في فترة سابقة وأصبحت المرجع الوحيد لتفسير كل المناهج الفكرية الأخرى. والتاريخ بين لنا فشل هذه المهمة، لأنه رغم طغيان الأيديولوجية فإنها لم تستطع نزع نفسها عن بقية الخطب الأخرى مثل العلم والدين والفن . وكذلك عندما كان الطغيان الديني سائدا في القرون الوسطى، تخلف الفكر عن تقدمه ولم يستطع الغرب ان ينطلق في نهضته الحديثة انطلاقا من القرن السابع عشر، الا بعدما استطاع ان يحرر الفكر، العلم من ارتباطه اللاهوتي، فنشأ الخطاب العلمي على أساس منهجية جديدة تقوم على أساس التربية والاكتشاف. فنحن بما يسمى الان ما بعد الحداثة. ونحن نلاحظ بالمقابل بأن هناك طغيان للخطاب العلمي على حساب بقية الخطب مما يجعل الانسان يعيش في بلبلة نفسية وقلق وجودي.

ان الفضل في تلاقي البنيوية والتحليل النفسي يعود الى "جاك لاكان : -1981, Jacque Lacan (1901) من حيث ان "جاك لاكان" اتخذ اللغة وسيلة للغور الى العالم الداخلي للإنسان اذ يعتبرها مشكلة في صميم الإشكالية الإنسانية، واعتبر بعض الباحثون والنقاد ان لغة "لاكان" هي لغة مغلقة، حيث اتهم بأفكاره الغامضة.

لقد اعتبر "جاك لاكان" ان اللغة هي أساس التواصل بصفة عامة لاسيما بين المحلل والمريض فهي نظرية قائمة بذاتها.

وطريقة ناجحة في العلاج، وقد اعتبر بذلك "جاك لاكان" رائد التحليل النفسي البنيوي، لذلك ذهب الى التأكيد بأن الاعتماد على اللغة البنائي سوف يسهم في تقديم وصف اللاشعور بطريقة علمية ويفهم بالدقة اللازمة وانطلاقا من ذلك عمل على تقديم قراءة مغايرة ل"فرويد" مستندا في ذلك الى المنهج اللغوي البنيوي موضحا طريقتة في ولوجوه الى بنية اللغة باعتبارها اهم مظاهر السلوك الإنساني .

علماء النفس يهتمون بالظاهرة اللغوية ليوضحوا السلوك بصفة عامة، واللغويون يهتمون بها ليبينوا السلوك اللغوي بصفة خاصة.

فالمحلل النفسي على سبيل المثال اذا أراد ان يدرس الاحلام للكشف عن بعض العقد والامراض او

المعتبر "جاك لاكان" ان اللغة هي أساس التواصل بصفة عامة لاسيما بين المحلل والمريض فهي نظرية قائمة بذاتها.

علماء النفس يهتمون بالظاهرة اللغوية ليوضحوا السلوك بصفة عامة، واللغويون يهتمون بها ليبينوا السلوك اللغوي بصفة خاصة.

فالمحلل النفسي يدرس الفاظ المريض وتعبيره لا أعلامه في حد ذاتها .

والبنيوية تبعا لذلك هي مفهوما التحليلي كما بينها "لاكان"، تطال كل الخطب بعلاقتها فيما بينها، ولا يمكن ان تتصور انفصالها عن بعضها

ان اللغة هي الوعاء التي تحصل به المعرفة، فهي موجودة في كل اللغات ضمن جهاز بنيوي يعتمد على اللفظ والقواعد والمعنى (التعبير)

الازمات النفسية على اختلافها عند شخص معين، فإنه سيطلب من ذلك الشخص ان يحول أحلامه الى سلوك لغوي أي سيطلب منه ان يتكلم ، فالمحلل النفسي يدرس الفاظ المريض وتعبيره لا أحلامه في حد ذاتها .

والبنوية تبعا لذلك في مفهومها التحليلي كما بينها "لاكان"، تطال كل الخطب بعلاقتها فيما بينها، ولا يمكن ان تتصور انفصالها عن بعضها، واذا ما حدث بأن أخذ خطاب الصدارة على الخطب الأخرى : فهو دائما يبني أولويته على أساس ارتباطه الوثيق بها . والجدير ذكره هنا أن "جاك لاكان" حدد الخطب السائدة بأربعة : خطاب السيد- خطاب الجامعة(العلم)- خطاب الهستيريا(الذات المنقسمة) - وخطاب لرغبة (موضوع ألف)

S1----->S2

<\$----- a

فالاتصال مستمر ما بين الخطب الأربعة، واي تغيير على مكان الصدارة لابد ان يؤدي الى تغيير في الأماكن الأخرى لكل خطاب، مثلا : اذا وضعنا خطاب الهستيريا في الصدارة فإننا سنجد التحول الاتي:

\$----->S1

a<----- S2

ان اول مؤشر للبنوية هو اللغة، لأن كل الأبحاث التي سترد لاحقا في أي علم من العلوم، ستكون اول مؤشر للبنوية هو اللغة، فلا وجود لمن لا يُسمى.

من حيث ان اللغة هي الوعاء التي تحصل به المعرفة، فهي موجودة في كل اللغات ضمن جهاز بنوي يعتمد على اللفظ والقواعد والمعنى (التعبير) .

ان اللاوعي او اللاشعور مبني كبناء اللغة وليس فوضويا كما جاء عند"فرويد" وهذه النتيجة هي المحور الأساسي الذي انطلق منه "لاكان" في مجهوده الفكري، وإذا كان من السهل اطلاق هذه الفكرة فالصعوبة تكمن في البرهان عليها، لأن مثل هذا العمل يطال الفكر الإنساني بأكمله في منهجيته، ويعيد النظر في كثير من المعتقدات السائدة، وينظر "لاكان" ان اكتشاف اللاوعي من قبل "فرويد" ويختلف تماما عن المفاهيم السابقة التي ظهرت.

يؤكد "لاكان" بأن اللاشعور بنية منظمة هيكلية شأنها شأن بنية اللغة ، فقد بنى تصوراته في التحليل النفسي على هذا الأساس، ومن ثم دعا الى دراسة بنیان اللاشعور كما تدرس اللغة فاللاشعور لغة، ومن ثم فهو ليس نتيجة للكبت او اعراض ذلك الكبت كما عند"فرويد" وانما وهو خطاب "dicusiss" وهنا يتجه "لاكان" الى "سوسير" ويمضي معه في سلسلة من الجدل والاستدلالات ينتهي فيها الى ان اللغة استعارية بصورة أساسية ، وهناك مقاومة داخل اللغة للامام بالمعنى وهذا لا يتيسر إلا بواسطة الاستعارة، والاستعارة هنا تخلق مدلول جديد، وهي اللحظة التي يتم نسخها ما أن يتكون مدلول الأ وهو دال الى مدلول آخر ، وهذا معنى الاستعارة في كلامه .

والدال هو الذي يقود قوانين بنية تدفق الكلام والمعاني غير مرتبطة بالدال لأنها تستخرج من أصل ارتداد الدال الى دال آخر، الفارق بين د1-د2 هو الذي يميزهما عن بعض ويفرز المعنى، ولهذا فالدال له أفضلية في التعريف عن الذات منتقلة ضمن السلطة الدلالية الذي يعرف عنها، ويشير الى مكانها، لأن الذات هي ما يمثله الدال بالنسبة لدال آخر، على اعتبار ان أي دال لا يستطيع ان يستأصل المعنى الأخير للمدلول .

المدلول في نظرية "لاكان" لايرتبط بكلمة واحدة او معنى محدد ، فإذا اردنا تأويل حلم بالكامل

ان اللاوعي او اللاشعور مبني كبناء اللغة وليس فوضويا كما جاء عند"فرويد" وهذه النتيجة هي المحور الأساسي الذي انطلق منه "لاكان" في مجوده الفكري

يؤكد "لاكان" بأن اللاشعور بنية منظمة هيكلية شأنها شأن بنية اللغة ، فقد بنى تصوراته في التحليل النفسي على هذا الأساس

دعا ( لاكان ) الى دراسة بنیان اللاشعور كما تدرس اللغة فاللاشعور لغة، ومن ثم فهو ليس نتيجة للكبت او اعراض ذلك الكبت كما عند"فرويد" وانما وهو خطاب "dicusiss"

ان اللغة استعارية بصورة أساسية ، وهناك مقاومة داخل اللغة للامام بالمعنى وهذا لا يتيسر إلا بواسطة الاستعارة، والاستعارة هنا تخلق مدلول جديد، و

ما أن يتكون مدلول الأ وهو دال الى مدلول آخر ، وهذا معنى الاستعارة في كلامه .

يصعب علينا استخراج المدلول الاخير له.

الدال والمدلول يشبه الجرس الكهربائي، اذ لا تتفتح الدائرة الا لتغلق ولا تغلق الا لتتفتح في سياق لا يتوقف المدلول يتزحلق تحت دال يطفو ، ان وضوح الدال لايعني وضوح المدلول بنفس الدقة بل يبقى من الانشغالات الكبرى للفكر الإنساني بأبعاده التاريخية والثقافية والحضارية، غير ان مايميز "لاكان" هو اهتمامه بالدال على حساب المدلول، كما تثبت في ذلك "الرسالة المسروقة" من حيث ان اللغة هي أساس اللاوعي و اساس تأويل الاحلام، اذ يكون الدال هو محور العملية اللغوية في التحليل النفسي حسب "لاكان" يعيد للذات الجزء الناقص من خطابها الذي يعرفه بالجزء الذي ينقص الذات، لكي تقيم خطابها الواعي، المؤكد ان ماهية الانسان توجد في اللغة والنظام الرمزي الذي يعد عاملا حاسما في فهم الشخصية الإنسانية.

وبذلك تكون تبرز التأكيد على منظومة اللغة في علاقتها في اللاوعي واكتشاف أهمية الدال في مادة الوعي الذاتي للشخصية والخروج بفرضية جديدة.

حتى نهاية القرن التاسع عشر، كانت اللغة وسيلة للتعبير عن الفكرة، وأي تركيبية لجملة في أي لغة معينة كما يقول "Port ROYAL" يجب ان تخضع لتركيبة الفكرة من حيث تأتي الجمل مترابطة فيما بينها كعرض ما يحصل في الترابط بين الأفكار ، فالقواعد والبلاغة والفصاحة تخل في اطار تنظيم التعبير وإخراج الفكرة في أحسن ما يمكن .

وانطلاقا من هذا التقسيم البنيوي : نجد ان كل جملة او كل كلمة تعبر عن فكرة. من هذا المنطلق انطلقت الالسنية على أيدي "سوسير 1910 Sausureuhl" فقسّم التعبير اللغوي الى بنية مبنية على محورين :

- المدلول هي الفكرة  
- والدال هو اللفظ الذي يعبر عن الأفكار، ويفصل بينهما واختيار الدال هو بمثابة العلامة، الإشارة التي تختار بشكل عشوائي او صدفي حسب التقائها بالصوت المؤشر .  
فالدال لا يوجد الا بناء على معنى معين، فهو الصورة السمعية في حين المدلول هو الصورة الذهنية .

والمدلول في كل لغة،نجده هو هو لا يتغير رغم تغير اللغات، بينما الدال المختار للتعبير يختلف من لغة الى أخرى، لأنه يخضع لقانون الصدفة العشوائية.

فمثلا: شجرة في اللغة العربية واللغة الإنكليزية Tree وهكذا ..

ويتبين من خلال ذلك ان الالسنية لم تكن لتصبح علما في حد ذاتها لو ما وجدت البنية الثانية التي تركز عليها. فكل لغة لها بنيتها الخاصة معتمدة على ثرائها بالمفردات، بالقواعد اللغوية بفصاحتها وقدرتها على استيعاب العلوم المستجدة. القواعد هي أساس، لأنها تؤسس اللغة منذ البداية في تحركها الزمني (أي الماضي والحاضر والمستقبل) .

الفائدة من هذا العرض الموجز هو للتذكير كما سيأتي ذكره لاحقا : هو انه يصب في فهم التحليل النفسي، لان ما نعرفه أن اداة التحليل النفسي الوحيدة في العمل وفي العلاج هي اللغة فقط.

وهذا أول الأمور التي تبينها فرويد ومن بعد ابرزها جاك لاكان ، فعندما تبين ل"لاكان"ذلك، بنى قاعدة نظريات على أساس الدال والمدلول المستوحاة من "دي سوسير De Saussure" وذلك بعد ان ادخل عليها بعض التعديلات أهمها : انه اعطى الدال أهمية وافضلية على المدلول، على اعتبار ان هذا الأخير يعصي على كل معنى نهائي . وقد سبقه الى ذلك السنوسيبي في فلسفته حول المعنى من الكلام والالفاظ بين كلام الله تعالى والتفاسير التي وضعت حوله، وكذلك الفلاسفة: اخوان الصفا الذين ميزوا

المدلول في نظرية "لاكان" لايرتبط بكلمة واحدة او معنى محدد ، فإذا اردنا تأويل حله بالخامل يصعب علينا استخراج المدلول الاخير له.

الدال والمدلول يشبه الجرس الكهربائي، اذ لا تتفتح الدائرة الا لتغلق ولا تغلق الا لتتفتح في سياق لا يتوقف المدلول يتزحلق تحت دال يطفو

ان مايميز "لاكان" هو اهتمامه بالدال على حساب المدلول، كما تثبت في ذلك "الرسالة المسروقة"

المؤكد ان ماهية الانسان توجد في اللغة والنظام الرمزي الذي يعد عاملا حاسما في فهم الشخصية الإنسانية.

انطلقت الالسنية على أيدي "سوسير 1910 Sausureuhl" فقسّم التعبير اللغوي الى بنية مبنية على محورين :

- المدلول هي الفكرة  
- والدال هو اللفظ الذي يعبر عن الأفكار، ويفصل بينهما



ما ين الظاهر في النص وما بين الباطن .

في مجال الانتروبولوجي : نجد ان البنيوية هي أساس : تنطلق من العام الى الخاص لتفسر ان الروابط الاجتماعية والعائلية، والسياسية تخضع لعدة عوامل نجدها ثابتة رغم تغير الشعوب ويعود الفضل بذلك الى كلود ليفي شتراوس Claude LEVE- Strauss . أما البنيوية عند "دي سوسير" فتنتقل من التساؤل عن علاقة القرابة وهي نراها متعددة ومتنوعة بتنوع الشعوب، يدخل في اطارها الزواج ما هو مسموح، ما هو غير مسموح، موضوع الإرث هل هو للأقرباء بصورة عامة ام من خصوصية افراد الخلية العائلية، كلها أسئلة يحاول "ليفي شتراوس" ان يجيب عليها.

ولكن الأساس والثابت في المحور البنيوي في علاقة القرابة، ويبقى المحرم الجنسي Inceste ومشتقاته . ودائرة التحريم في هذه المشتقات تراوح ما بين شعب وآخر، فمنهم ما يقتصر على التحريم على أبناء العم يبيح العلاقة بأبناء الخال والخالة. ومنهم على العكس من يستبيح ابنة العم في بعض البلاد العربية أكثر من بنت الخال .

وإذا كان هناك زواج وقرابة فليس الا بسبب القانون الدولي المعمم على كل شعوب البشر: وهو تحريم الام، وهذا مما يدفع الأولاد الى طلب الزواج من خارج اطار العائلة، وهذا ما يسمى Exopannie أي الزواج الخارجي، ويبرر "ليفي شتراوس" هذا التحريم بأسباب بيولوجية دون ان يحددها، فهي موجودة في المجتمعات قبل دخول الاب على الخط، وهي مرادفة لدخول اللغة لأنه لايمكن ان نحرم اهل القرى من دون ان نتمكن من تسميتهم، لذلك بقي هذا المحرم الأساسي ضمناً دون ان يذكر الا في الإسلام: حيث التحريم واضح "حرمت عليكم أمهاتكم" وهكذا بالتسلسل.. وليس من الممكن التحريم الا من دون ترك النساء والمحرمات الى الغير، أي ندخل في إطار اباحة الزواج من الخارج والانطلاق نحو الخارج، فهذه قاعدة عالمية إنسانية. فتوسيع إطار خيار الزواج من الخارج يتقدم أكثر وأكثر حسب تطور الشعوب والتخلي عن المعتقدات الموروثة.

ففي أوربا مثلاً أصبح الخيار تلقائياً من خارج إطار العائلة، اما في البلاد العربية حيث تسود الروح القبيلية لا تزال القرية هي الخيار الأول سواء كانت من جهة الام او من جهة الاب، ولكن تخف هذه العادات كلما ابتعدنا من القرى باتجاه المدن. ان تبادل النساء بين الشعوب يتحكم به منذ البداية قانون التحريم، فعندما يتم اختيار الفرد لامرأة من الغير ، كلما ترك نساؤه المقربين لخيار الغريب .

و "مصطفى صفوان" في مسألة الزواج والقرابة يتوقف عند دور الأب والأم والمحرمات الأوديبية، ويركز على صورة الأب المثالي الموهومة، لأن هذا الأب غير موجود، لا بل هو مهزوم في معركة الحياة. وهنا يقفز صفوان من مقولة الأب البيولوجي إلى الأب السياسي: "كان أنور السادات عندما يتحدث إلى المصريين، يقول لهم: يا أبنائي". وينظر ملياً في علاقة الحاكم [الأب السياسي] بالمحكوم [المواطن] فيقول: "إما أن يكون هناك نظام يكون فيه الحاكم نفسه مسؤولاً أمام المحكوم... فيكون هذا النظام عندئذ ديموقراطياً، مثل النظام الذي كان معمولاً به في أثينا"، في عهد بيريكليس، وإما أنه غير مسؤول أمام المحكوم، فيطغى ويجور. "الدكتاتور لا يُحاسب على أخطائه! زعيم مصر وحده سينقذ مصر! وأي مخالفة لرأيه خيانة! وهو بنفسه لا يتعلم من هزائمه ولا توجد معه نهاية سوى الكارثة" [والمقصود بالكارثة هي هزيمة 1967، وقد فتحت الباب على مصراعيه لكل أنواع الأصولية الدينية، كما يقول]. ويتوقف صفوان عند تقلص دور الأب في الحضارة الغربية وازدياد دور الأم، في حين دوره بارز دائماً في الحضارة الشرقية؛ ويرى أن الأب في أوروبا إذا صفع ابنه، يحق لهذا الأخير أن يقدم شكوى ضده ويربهاها. الأب هنا يمثل السلطة والقانون، ولكن هذا الأب أو هذا الحاكم مهزوم. ولأن المجتمعات العربية مجتمعات طائفية وقبلية فإنها تركت الباب مفتوحاً، كما يقول صفوان "أمام

فالدال لا يوجد الأبناء على معنى معين، فهو الصورة السمعية هي حين المدلول هو الصورة الذهنية .

والمدلول هي كل لغة، نجده هو لا يتغير رغم تغير اللغات، بينما الدال المختار للتعبير يختلف من لغة الى أخرى، لأنه يخضع لقانون الصدفة العشوائية.

ان الالسنية لم تكن لتصبح علماً هي حد ذاتها لو ما وجدت البنية الثانية التي تركز عليهما.

فكل لغة لها بنيتهما الخاصة معتمدة على ثرائها بالمفردات، بالقواعد اللغوية بفصاحتها وقدرتها على استيعاب العلوم المستجدة.

اعطى ( لاكان ) الدال أهمية وافضلية على المدلول، على اعتبار ان هذا الأخير يعصي على كل معنى نهائي

الحاكم ليمارس طغيانه من دون رادع". وبعد أن ينزل الناس إلى الشارع، كما يضيف، ويعودون إلى بيوتهم، "تستفرد بهم السلطة وتمسكهم واحداً تلو الواحد وتضعهم في السجن".

ولذا "لا يستطيع التحليل النفسي أن ينمو ويتكوّن إلا في مناخ ديموقراطي". ويرى "مصطفى صفوان" أن المحلّ نفسياً يتمتع أمام المحلّ بمطلق الحرية في أن يقول ما يشاء - "ينتقد الأهل، المجتمع، الذات - وحتى يطال المحل انتقادات قد تكون لاذعة، ولكنّ المحلّ عليه أن يحترم حرية تفكير المحلّ.

فرويد، كما نعلم، هو ابن عصره الفكري، فقد كان نشاطه قائم على الدراسة العلمية والتجارب في المختبرات حول أمراض الاعصاب . اذ بحكم المنهجية التي تربي عليها، شاء ان يبني للتحليل على قاعدة علمية يناهض الآراء والمعتقدات المتخلفة والتي رغم تقدمها، بقيت متأصلة في جذورها في الغيب والابهام . من هذا المنطلق نستطيع القول ان التحليل النفسي كان وليد الخطاب العلمي، وكما يقول "جاك لاكان": ان موضوع التحليل النفسي هو موضوع العلم بحد ذاته..

والخطاب النفسي التحليلي لا ينفصل عن الخطابات التي أشار لها جاك لاكان ، فهو يعتمد عليها لكي يفتح الفكر نحو المعرفة، وهي ليست فقط المعرفة العلمية، ولكن المعرفة الذاتية بما يخالجها من رغبات لا يمكن البوح بها. وهو اول اكتشاف لفرويد" يسمى الأساس الأول للبنية النفسية.. لقد اعتبر "فرويد" ان اللاشعور او اللاوعي هو الاساس في منهجية التحليل النفسي، وحسب نظريته الموضوعية Topique هي مكان آخر، خارج اطار الشعور، لد ديناميكية وقدرة تجعله يختلف عن اللاشعور الفلسفي او الطبي، الذي يركز على الوجهة الوصفية. أي انها أفعال تصنف بكونها لاشعورية إذا ما حصلت في غياب الشعور أي الوعي. مثلا الانسان في حالة الغيبوبة يقال انه في حالة لاوعي. او أي تصرف غير مسؤول يقال عنه انه غير واعي. فاللاشعور الفرويدي يعمل في حال وجود الشعور وتام اكتمال الوجدان: كما في الاعراض والنكسات والافعال المغلوطة وهفوات اللسان. كلها أفعال لاشعورية في حالة وجدانية واعية. وكذلك يعمل في حال غياب الشعور: كما يحصل في احلامنا عندما نكون نائمين.

فهذا اللاوعي او اللاشعور له تركيبته، وهي أساسا مبنية على النزوات والرغبات المكبوتة ويعمل تحت مبدأ اللذة. أي ان الانسان منذ ولادته يرتبط بالعالم الخارج عن طريق تحقيق ملذاته، وسريعا ما يصطدم بمبدأ الواقع الذي يحد من الملذات ومن إمكانية تحقيقها المطلق كما كان يتهاى له في خياله أي هناك استحالة لأن يعمل كقانون شامل لكل انسان متكلم وهو الام محرمة على الابن ومحللة على الاب، وهو ما يسبب عقدة تسمى عقدة أوديب، واي انتهاك لهذا المحرم يقابل بتهديد: يسمى بالخصاء، والخصاء هو قانون عام ملازم لعقدة أوديب وإمكانية حلها .

الخصاء لا يصبح خطرا وتهديدا الا إذا عجز عن الحل ودخل الانسان في حقل العصاب، اما اذا نجح الخصاء في ادخال القانون الى الداخل، عندئذ يكون وجوده ضروريا وحليفا أساسيا لتأسيس الرغبة. فيخرج الفتى من عقدة الأوديب، وتدخل الفتاة في الحقل الأوديب، أي ان التحرر الأوديبى لدى الفتاة لا يحصل الا لاحقا عندما يتحقق لها رجلا، يستطيع ان يحل محل الاب .

فإذا الخصاء هو الصلة ما بين مبدأ اللذة السائد في اللاشعور وما بين مبدأ الواقع. فإذا اختلت هذه العملية أي وظيفة الخطاب، عندئذ بدل ن يكون الواقع امتدادا لمبدأ اللذة تصبح العلاقة صدامية، مولدة للألم والعذاب النفسي. لان مبدأ اللذة يعمل في اللاشعور على الصعيد المخيالي، فيولد الهومات دون التقيد بالواقع، ومن هذا الصراع يتكون العصاب ..

ويتهياً للبعث بأن أوديب قصة أسطورية قد مضى عليها الزمن، وبأن الخصاء وهم وخيال، لأنه لم

لا يمكن ان نكرم اهل القربى  
من دون ان نتمكّن من  
تسميتهم، لذلك بقي هذا  
المعبر الأساسي ضمناً دون ان  
يذكر الا في الإسلام: حيث  
التحريم واضح "حرمته عليك  
أهملاتكم" وهكذا بالتسلسل

يقفز صفوان من مقولة الأدب  
البيولوجي إلى الأدب السياسي:  
"كان أنور السادات عندما  
يتحدّث إلى المصريين، يقول  
لهم: يا أبنائي

إما أن يكون هناك نظام يكون  
فيه الحاكم نفسه مسؤولاً أمام  
المحكوم... فيكون هذا النظام  
عندئذ ديموقراطياً، مثل النظام  
الذي كان معمولاً به في أثينا".  
في عهد بيريكليس

وإما أنه غير مسؤول أمام  
المحكوم، فيطغى ويجور.  
"الدكتاتور لا يُسبغ على  
أخطائه! زعيم مصر وحده  
سينقذ مصر! وأي مخالفة لرأيه  
خيانة! وهو بنفسه لا يتعلم من  
هزائمه ولا توجد معه نهاية  
سوى الكارثة"

يحصل ان أتى اب وقاصص ابنه بقطع القضيب.

أولا : يتبين من خلال العمل النفسي التحليلي ومن كتابات "فرويد ولاكان": ان اوديب ليس أسطورة بل هو بنية يدخل في اطارها تأسيس الرغبة وبها تكمن حقيقة الذات .الصراع بين الاب والابن: هو صراع محسوم، لان الابن يشعر بأن القوى متفاوتة وانه دون القدرة على مواجهة والده، لذلك فإن الصراع يدور على الصعيد المخيالي واللاشعوري. الاب هو ممثل القانون وهو كما يقول "لاكان" النفذ لعملية الخصاء، لأنها ليست ملك شخصي انما ارث تتناقله الأجيال من اب لاب، وكل واحد يرضخ لهذا القانون قبل ان يورثه الى أبنائه. لا يوجد تهديد بالخصاء من دون معتقد سابق. واذا البنية الاوديبيية هي المؤسسة للرغبة، والمتاخمة للقانون، بل كما يقول "لاكان": هي القانون والعكس صحيح. وهي لا تتناقض مع الاب الواقعي . فهي تتماشى تماما مع العلاقة السوية بالآب، وكرهية الاب. يقول مصطفى صفوان: بأنها كراهية الرغبة. أي باختصار رغبة - قانون - اب واقعي . ثلاث فرقاء منسجمين ومتجانسين في آن واحد ولا تتناقض فيما بينهم، فإذا ما تحققت هذه الشروط استطاع الانسان ان يعيش حياة سوية مع مجتمعه دون حاجة الى اعراض عصابية .

ولكن كيف يحصل ذلك، اذا ما كان مخاض ولادة الرغبة يحصل في اللاشعور . الطفل في البداية يتوجه من الطفل الى الام. وفي المرحلة الشرجية تنعكس الأمور: الام تصبح في موضع الطالب وهو أي الطفل يصبح في المكان الذي يتوجه اليه الطلب، فالغائط هو جزء من جسم الطفل ينفصل عنه ويتماهى به لكي يعطيه للأم . وهذا النموذج من العلاقة يستمر الى المرحلة القضيبية حيث يبدأ الصراع الاوديبي، ويخير الطفل كما يقول "جونس مابين الموضوع والقضيب" .

فإما ان يحصل على الموضوع أي الام ويفقد القضيب واما ان يحصل على القضب ولكن بالمقابل يتنازل عن الام (موضوعه). فهذا التهديد الذي يطال القضيب، مدعوما بمعرفته بأن الفتاة محرومة من هذا القضيب، ليس بقدر قادر الخلق، انما بانتزاع لسبب ما يجهله، يؤثر على الطفل ويخلق عنده تهديد بالخصاء. ولكن هذا النوع من الخصاء يسمى بالخصاء الوهمي، وهذا الامر لا يعطي النتيجة النهائية، لأن رغبته لم تدخل هذا الحقل لكي تنتزع اعترافا، سيما ان الطفل يدرك(اذا ما قاس نفسه بوالده) بعجزه وصغره حجمه بالنسبة الى الاب. فهذا بحد نفسه خصاء يجعل معركته خاسرة، وفي هذه الحالة قد ينقلب الاوديب الإيجابي الى اوديب سلبي. يقول "لاكان" ان التهديد الوهمي بالخصاء لا يؤسس الرغبة، بل يخلق خوف وتهديد للرغبة: كما يتبين لنا في الميدان العيادي المختص بالاضطرابات الجنسية: كالعجز الجنسي، والبرودة، والانزال المبكر، والخوف من الخصاء الوهمي، بفضل غياب حصول الخصاء الرمزي، وهذه الأخيرة لم تأخذ مفهومها المنطقي الا عبر طريقة "جاك لاكان".

يقول "لاكان" : منذ دخول الطفل حقل الاخر الكبير أي الام يتساءل عن رغبته وعن النقصان الذي يؤسسها، ولا يجد افضل من ان يتماهى بموضوع نقصانها حتى يتم وجوده بها، وموضوع هذا النقصان هو القضيب. وهنا فإن التماهي بالقضيب هو شيء مشترك سواء كان له نقصان يؤسس رغبته، وهذا يتم بفضل عاملين :

الأول: على الام ان تقر بنقصانها وتتوجه الى الطفل لكي تقول له انه لا يحقق موضوعها مما يجعل الطفل يقر بنقصانه في التماهي، فيقر في آن واحد بنقصان الام أي بخصائتها.

ثانيا: موضوع رغبة الام هو القضيب، يتوجه الى الاب، حيث انه الوحيد الذي يحقق اشباعها ، يدرك الطفل عندئذ ان هناك نقص بوجوده فيقر بسلطة الاب كونه الوحيد الذي يحقق موضوع رغبة الام، الطفل عندئذ ان هناك نقص بوجوده، فيقر بسلطة الاب كونه الوحيد الذي يحقق موضوع رغبة

ويتوقف صفوان عند تفحص دور الأب في الحضارة الغربية وازدياد دور الأم، في حين دوره بارز دائما في الحضارة الشرقية

ولأن المجتمعات العربية مجتمعات طائفية وقبلية فإنها تركت الباب مفتوحاً، كما يقول صفوان "أمام الحاكم ليمارس طغيانه من دون رادع".

وبعد أن ينزل الناس إلى الشارع، كما يضيئه، ويعودون إلى بيوتهم، "تستفرد بهم السلطة وتمسكهم واحداً تلو الواحد وتضعهم في السجن".

لا يستطيع التحليل النفسي أن ينمو ويتكون إلا في مناخ ديموقراطي

ان التحليل النفسي كان وليد الخطاب العلمي، وكما يقول "جاك لاكان": ان موضوع التحليل النفسي هو موضوع العلم بعد ذاته..

لقد اعتبر "فرويد" ان اللاشعور او اللاوعي هو الأساس في

وهذه العملية كان ممكن ان تتم لولا تدخل الاب لكي يسمع الام الكلام الاتي :

- لا عودة الى الوراء، أي إعادة الطفل الى احشائك
- يسمع الابن أنه من المستحيل مضاجعة أمك .

اجمالا، هذان القانونان ليسا بحاجة الى القول، لانهما مسموعان من الداخل، من اللاشعور ومرتبطان أساسا بخصاء الام . وما دور الاب الواقعي سوى المنقذ Agent للخصاء الرمزي . ونظرية "لاكان" أتت لكي تحل مكان التصير بنظرية "فرويد" حول الخصاء الوهمي والتي اضطرتة الى الاستعانة بالفيلو جينيتيك . أي ان تعميم الخصاء على افراد البشر يعود الى تاريخ نشأة الانسان . وهذا ما صعب على "لاكان" قبوله

ويترتب في حال نجاح عملية الخصاء الرمزي هذه، تطورات سوية لدى الفتى والفتاة :

1- لدى الفتى: يتحول عن هذا التفكير ويقطع عن إتمام نقصان الام لكي يتوجه الى الاب فيتماهى به ويعيد امتلاك قضيبه في اختيار امرأة من النساء في الخارج Exogamie وهذا ما حدى ب"جاك لاكان" الى القول أي يمتلك القضيب من دون ان يكون هو القضيب وهذا هو باب المخرج من الاوديب .

2- بالنسبة للفتاة : عندما يتأكد لها ان الموضوع الذي ينقص أمها هو في حوزة الاب . وان الام تتجه الى هذا الأخير لأنه موضوع رغبته، تتجه الفتاة في طلبها الى الاب، ويصبح موضوع اهتمامها وجاذبيتها تحاول افتائه. وتأمل منه ان يعطيها ما يعطي الام. ولكن محرم الاب يحول الاتجاه الى رجل آخر يعرض عما فقدته. تتحول من نقصانها الى جسدا لكي تجعل منه تماهيا بالقضيب . وهذا ما حدى

ب لاكان الى القول : Elle est sans l'avior

أي انها هي القضيب ولكن من دون ان تملكه ، أي تتنازل عن ملكية القضيب مقابل ان تكون هي القضيب عندما تدخل في نطاق رغبة الرجل والقضيب له دلالاته النرجسية وهذا ما يفسر اعتزاز المرأة بجمال جسمها واهتمامها النرجسي به. اذا كما ذكر "صفوان" في ندوته - التحول الكبير بالنسبة الى ما قاله "لاكان" هو التركيز على التماهي مع التنازل عن الملكية.

وهي أي الفتاة ، ان تخلت عن ملكية القضيب مقابل تماهياها به في حقل رغبة الاخر، تكون قد اقتنعت بنقصانها، الذي سيدخلها عالم الانوثة، فتفتش عن البدائل، الرجل المماثل الذي يملك القضيب ولا يكونه، او عن تحقيق الامومة. وهكذا يتبين ان قضية الخصاء لدى المرأة تأخذ وقتا طويلا ولا تتحقق الا عندما تكتمل انوثتها في سن الرشد. عندئذ نقول انها خرجت من الاوديب، خلافا لما هو عند الفتى .

ويكون الخصاء الرمزي: في العدول عن التماهي القضيب يحرر استعمال قضيبه، أي الخروج من التماهي يدخله في ملكية القضيب. وهكذا يحسم امره ويخرج من العقدة الاوديبية في سن 5-6 سنوات . البنيوية التي أشار لها "جاك لاكان" بنيوية مرحلة المرأة" مكونة للانا على أساس رؤية الجسد في اكتماله، وكذلك هي مكونة للرغبة في صراعها مع الاخر .

يجب التمييز بين نوعين من الرغبة:

الأولى: تتكون منذ البداية في علاقتها التناقضية مع الاخر القرين.

الثانية: تأتي فيما بعد عندما يتكون حقل الاخر الكبير .

الأولى تتكون عندما يرى الطفل ان موضوع رغبته هو في حوزة الاخر، كمثال (الشاهد) الذي أعطاه "لاكان" في مثل القديس اوغيستان: عندما رأى طفلا يتمزق حقدا وهو يراقب أخيه بنظرات

فبالاشعور الفرويدي يعمل في حال وجود الشعور وتماه احتمال الوجدان: كما في الأعراض والنكسات والأفعال المغلوطة وهفوات اللسان

فهذا اللاوعي او اللاشعور له تركيبته، وهي أساسا مبنية على النزوات والرغبات المكبوتة ويعمل تحت مبدأ اللذة.

الام محرمة على الابن ومحللة على الاب، وهو ما يسبب عقدة تسمى عقدة أوديب، وأي انتهاك لهذا المعزم يقابل بتهديد: يسمى بالخصاء، والخصاء هو قانون عام ملازم لعقدة أوديب والإمكانية حلما .

الخصاء لا يصبح خطرا وتهديدا الا إذا عجز عن الحل ودخل الانسان في حقل العصاب، اما اذا نجح الخصاء في ادخال القانون الى الداخل، عندئذ يكون وجوده ضروريا وحليفا أساسيا لتأسيس الرخبة.

فإنها الغطاء هو الصلة ما بين  
مبدأ اللذة السائد في اللاشعور  
وما بين مبدأ الواقع.

ان اوديب ليس أسطورة بل هو  
بنية يدخل هي اطارها تأسيس  
المرحبة وبها تكمن حقيقة  
الذات

وهذا النموذج من العلاقة  
يستمر الى المرحلة القضيبية  
حيث يبدأ الصراع الأوديبي،  
ويخير الطفل كما يقول "جونس  
ما بين الموضوع والقضيب".

يقول "لاكان" ان التهديد  
الوهمي بالغطاء لا يؤسس المرحة،  
بل يخلق خوفه وتهديد للمرحة

لدى الفتى: يتحول عن هذا  
التفكير ويفتح عن إتمام نقصان  
الأم لكي يتوجه الى الأب  
فيتماسك به ويعيد امتلاك  
قضيبيته في اختيار امرأة من  
النساء هي الخارج

2- بالنسبة للفتاة: عندما  
يتأكد لها ان الموضوع الذي  
ينقص أمها هو هي حوزة الأب .  
وان الأم تتجه الى هذا الأخير

الحسد القاتلة، وهو يتمتع بثدي الام، ان الأخ قد احتل المكان الذي يمكنه من الحصول على موضوع  
رغبته، وكذلك بحكم التماهي بالآخر يشتهي الانسان الموضوع الذي هو في ملكية الآخر، يحاول دائما  
انتزاعه سواء بالقوة او بالمنافسة. ومن هنا استمدت الأديان الوصايا الأخلاقية لردع الانسان عن  
استباحة ما يملكه الانسان الآخر : لا تقتل حتى لا يستبيح املاكه بعد قتله. لا تسرق - أي ما بحوزة  
وبملكية الآخر. لا تشتهي امرأة غيرك- كي يحول في ردع النزوات الجنسية ويحصرها في ملكيته.  
وهكذا فإن هذه الوصايا هدفها الأخلاقي حماية الملكية من رغبة الآخر، لأنها موضوع اشتهاؤه بمجرد  
ان تكون في حوزة غيره.

أي بمعنى آخر ان هناك دافع انساني مستمر لكي يحل الشخص محل الآخر، مما يعني ان هناك  
صراع دائم. يجب باستمرار حده بقوانين اجتماعية.

وهذا الخط في الرغبة هو ما يأسر الانسان في طلب موضوع رغبة ويؤجج الصراعات  
والمناسبات. والفتاة عندما تقع في اسر هذا الخيال تتحول علاقتها مع الذكر الى علاقة منافسة  
ومزاحمة. تشعر دائما بالحرمان وان الآخر يملك ما هي محرومة منه، وهذا تأكيد ضمني على أولية  
القضيب في الملكية .

اما الصنف الثاني من الرغبة حسب تعريف "لاكان": الرغبة فهو رغبة الآخر بمعنى الآخر الكبير  
، أي المكان الذي تتوجه اليه الطالبات لكي تتحقق الحاجات ولكن يتبين للإنسان ان طلبه يتعدى  
للإنسان، أي انها تطلب ما لا يستطيع الآخر تلبيةه لأنها أساسا نقصان عنده. وهنا احتمالين اما ان  
يرفض الانسان هذا الواقع ويصبح اسيرا للطلب المستمر دون ان يعرف مونه، كالطفل الذي كلما لبيت  
طلبه كلما طلب شيئا آخر. وهكذا فما يريد ان يبلغه ليس اكفاء طلبه انما العجز عن تلبية طلبه أي ما  
هو نقصان لدى الآخر الكبير الام: أي القضيب . وهنا يصبح موضوع الرغبة وهو ما يسميه "لاكان"  
موضوع (أ) هو نقصان يؤسس الوجود Manque a etre واستحالة تحقيقه يدخل هذا الموضوع في  
إطار الموضوع الضائع من حيث انه كلما سعى وراءه يتبين له ان ما يحصل عليه لا يساوي  
الموضوع الذي فقده. وهكذا في كل مرة يتحقق له موضوع بديل، يتأكد له فقدان الأصل . وهذا الحقل  
هو الحقل الإنساني : على اعتبار ان الآخر الكبير يتحول منذ بداية علاقة الطفل بالأم الى المكان  
الرمزي المتلقي لكل الطلبات عبر اللغة : تفسر وتفك الغازها ويصبح المكان الوحيد الآخر الذي يحتل  
حقل اللاشعور . وبخلاصة مقتضية نجد انه إذا كان النوع الأول من الرغبة تعود مرجعيته الى منافسة  
الآخر وامتلاك ما هو بحوزته، فالنوع الثاني: يحيل الرغبة الى الآخر الكبير، حيث يكون موضوعها  
هو موضوع رغبته او نقصانه.

مما تقدم يمكن التأكيد على مايلي :

ان النهج والاطار الأساسي في التحليل النفسي يعتبر ان اللغة هي المنطلق لفهم السلوك الإنساني ،  
من كون التحليل النفسي يُعتبر علاجاً بالتحدث مبنياً على أسلوب التداوي الحر، بحيث يتم تشجيع  
المريض على التعبير عن كل ما يبادر الى ذهنه . وبذلك يعتبر التحليل النفسي نظرية حول النفس  
البشرية وممارسة علاجية في الوقت نفسه، ويمكن تطبيق التحليل النفسي في أربعة مجالات رئيسية :

1- باعتباره نظرية حول طريقة عمل النفس

2- باعتباره نهجا علاجيا للمشاكل النفسية

3- باعتباره نهجا للبحث

4- وأخيرا باعتباره طريقة للنظر في الظواهر الثقافية والاجتماعية مثل الادب و الفن والأفلام

والعروض الفنية والسياسة وسلوك الجماعات .

لأنه موضوع رغبتهما، تتجه الفتاة  
في طلبها إلى الأب، ويصبح  
موضوع اهتمامها وجاذبيتها  
تحاول إفتانه. وتأمل منه أن  
يعطيها ما يعطي الأم. ولكن  
محره الأب يحول الاتجاه إلى  
رجل آخر يعرض عما فقدته

إن قضية الخفاء لدى المرأة  
تأخذ وقتاً طويلاً ولا تتحقق إلا  
عندما تكتمل انوثتها في سن  
الرشد. عندئذ نقول إنها  
خرجت من الأوديب، خلافاً لما  
هو عند الفتى .

يكون الخفاء الرمزي: في  
العدول عن التماهي القضيبى  
بحرر استعمال قضيبه، أي  
الخروج من التماهي بدخله في  
ملكية القضيب

إن الآخر الكبير يتحول منذ  
بداية علاقة الطفل بالأم إلى  
المكان الرمزي المتلقي لكل  
الطلبات عبر اللغة : تحسر وتفك  
الغازها ويصبح المكان الوحيد  
الآخر الذي يحتل عقل اللاشعور .

إذا كان النوع الأول من  
الرغبة تعود مرجعيته إلى  
مناقسة الآخر وامتلاك ما هو  
بحوزته، فالنوع الثاني: يحيل

5- وهنا ينبغي أن نتساءل من أين للتحليل النفسي بهذا الصدر الرحب الذي استطاع به أن يفك  
الغاز فسيفساء من العلاقات المعقدة التي تتدرج تحت بُنى السحر، والدين، والعائلة العشائرية  
الأولى، والتابو بالعودة إلى المرحلة الأزلية لقتل الطوطم ونشوء الطوطمية ؟

6- إن صح استعمال المفهوم الإيجابي، وقلنا بأن التحليل النفسي شمولي بطبعه، متى استقام نضج  
معارفه على مبدأ العلة الفاعلة، والقوانين، سنهتدي إلى معرفة السر الكامن وراء الكليانية الموجودة عند  
"جان لاكان"، والجدلية الجينولوجية بينه وبين تصنيفه في علاقة بالبنائية والتحليل النفسي، بأنهما  
تمخضتا بناءً على وجود سكتين مختلفتين دشنتا في طريق واحد، يمر عبر محطات مشتركة ومتقابلة ،  
تقودانه إلى منطقة سحيقة يتراءى فيها لكل منهما وجهتها الصحيحة، مع احتمال أكبر لتبادلها مقامات  
المفاهيم أثناء العودة إلى الأشواط الأولى قصد استطلاع تفاصيل مواضيعهما اللامباشرة.  
وكل هذا التبادل المخضرم للعلاقات بالظواهر التي يدرسانها، بل وبعض الغايات، يتوقف على عناصر  
المحاجة السالفة الذكر بجميع ما يحيط بها ، وأخيراً يتوقف على رؤية البنائية والتحليل النفسي للتاريخ  
فكليهما يتقاسما موقفاً أحادياً أمامه، ينتهي بالإستغناء بإدارة الظهر له ونبذ، عملاً بمكانتهما المنفردة  
في جهاز التنظير العقلاني المتناسك لعناصر تشغل الكل :

7- أولاً تحت عنان النقد الفرويدي اللاذع للفلسفة التي نصبت نفسها في برج عاجي، تبتهل من  
خلال التأمل والتمتع بما حولها، بما يشبه المثالية ، أو على حد وصفه لها ، (زعماً شمولياً ينتهي إلى  
حد ادعاء المعرفة المطلقة ) حيث خلق هذا الأمر لاستعلاء الفلسفة، من لدن "فرويد"، تصعيداً معنوياً  
فاق الاحتمال، ودفع بالتحليل النفسي إلى أن يفقد لباقة تواضعه، مع جود الفلسفة عليه ببعض الأشياء  
النظرية، حينما غذى بها فرويد طروحاته وبعض نظرياته، بواسطة أفكار ساقها من نيتشه وأفلاطون  
وشوبنهاور، بدون رد الجميل على اقتراضه منها قروضا حسنة ليضعف بها من القيمة الإنجازية  
لمشاريعه، ولو اعترف بالجميل للفلاسفة الثلاثة بوجود تصورات سابقة حول مفهوم الكبت في العالم  
كإرادة وتمثل، كما يعثر في ميتافيزيقيا الحب والموت، على الحدس المزدوج لسلطة "إيروسوتاتوس"  
وأن الفلسفة اهتمت بصورة دورية بمسألة اللاشعور فإنه لا يعدو بأن يكون سوى وصاية بيروقراطية  
يسعى من خلالها أنطولوجياً إلى إحلال المثل الأعلى لذات التحليل النفسي، محل "مبدأ الرفعة" الآخر عند  
الفلسفة، لأن إكراهات البداية القاهرة ل "فرويد" وعدم إبداء تجاوب كبير مع منهجه من لدن من  
عارضه في الليبدو، وبالأخص نفيه لوجود غريزة اجتماعية بدل الغريزة الجنسية كما هو معلوم، كلها  
ملاحظات تسعف المرء على معرفة جزء من الأسباب -الغير إيديولوجية- التي دفعت ب"فرويد" إلى  
ربط التحليل النفسي بالعلوم الطبيعية الإمبريقية، وإبداء قلق حاد من الفلسفة، قل نظيره عند  
الشترواسيه، رغم أن نفس الجدلية تسم على وجه الخصوص ثانياً، ذلك التطاحن الفكري المفتعل، الذي  
اشتدت وطأته بين الوجودية السارترية ، والبنائية الشتراوسية إلى حد ضلوعهما في محاكمات  
إستيمولوجية، تذاكت بفعل تضارب المناظرات المتتالية طيلة عقد كامل تقريبا بين لفي شتراوس  
وسارتر، فقد توترت العلاقة بين جان بول سارتر ، وخصمه البنائي الذي كان صديقاً حميماً له  
تجمعهما وشائج الكتابة في مجلة سارتر، وذلك إثر بزوغ "كتاب (الآفاق الحزينة) للفي شتراوس  
(...)ففيه يأخذ على الوجودية : أنها ترتقي إلى نوع من الميتافيزيقيا الخاصة الفلسفية، وفي سنة  
1960 ظهر كتاب (نقد العقل الجدلي) لسارتر وهو يشمل نقداً منهجياً للأنترولوجية البنائية، أما في سنة  
1962 فظهر كتاب (تفكير الفطرة) للفي شتراوس ففيه يخصص الفصل التاسع للرد على نقد  
سارتر، ودحض الحجج التي تضمنها كتاب "النقد" ومن جانب مصداقية فرويد المزعومة هنا ، لقد ركز  
التحليل النفسي رفضه لأية صلة علائقية له بالفلسفة، على أساس موفق عام شبه معصوم من الوقوع في

الرغبة الى الآخر الكبير، حيث يكون موضوعاً هو موضوع رغبته أو نقصانه.

ان النصح والاطار الأساسي في التحليل النفسي يعتبر ان اللغة هي المنطلق لفهم السلوك الإنساني، من كون التحليل النفسي يُعتبر علاجاً بالتحدث مبنياً على أسلوب التداخي الحر

أن بين ما هو كائن عليه التحليل النفسي في نظر فرويد بطبعه، وما ينبغي أن يكون عليه استنباطياً، شتان بينهما حسب اعتقادنا، وذلك بتبلور تصور مشترك غير لائقي ذاتياً بين البنائية والتحليل النفسي يمنحهما قوة تحديد الصحيح من الخطأ، والقدرة على معرفة النسيج المعقد والعلاقات والقوانين التي تتحكم في نشاط وفكر الإنسان

يتساءل حب الله من موقع العارف: "لماذا يخاف المجتمع العربي من التحليل النفسي هل لأنه يعتبر اللاوعي شيئاً مخيفاً؟"

الخطأ، وبذلك كان ابناً عاقاً للفلسفة التي لم يرضيها "فرويد" بما يكفي من الوقار عوضاً عن توبيخها، ومن جهة ثانية نجد البنائية لم تشتط قطعاً برمتها كمابغي للتحليل النفسي بأن يكون حق أريد به باطلاً، إذ لم تركز نظرتها نحو الفلسفة إلا على موفق خاص يتوجه بالرفض لنسق فلسفي بعينه، وليس كل الأطياف الفلسفية المختلفة، والمهم في الأمر أن بين ما هو كائن عليه التحليل النفسي في نظر فرويد بطبعه، وما ينبغي أن يكون عليه استنباطياً، شتان بينهما حسب اعتقادنا، وذلك بتبلور تصور مشترك غير لائقي ذاتياً بين البنائية والتحليل النفسي يمنحهما قوة تحديد الصحيح من الخطأ، والقدرة على معرفة النسيج المعقد والعلاقات والقوانين التي تتحكم في نشاط وفكر الإنسان، وبذلك صاراً على خلاف التكيكية التي تنتثر الشك حول نفسها باستمرار لنقدها، بل هما يزكيا أنفسهما مقارنة بنسق الفلسفة الوجودية والفلسفة كمنظومة عامة، بدون أن يلبسا وضعا خجولاً أمام ذلك، عسى أن يتحدثنا بلسان الوثائق عن الحقيقة بكل ثقة في النفس ..

وبمثل ما افتتحت دراستي انهي بالحوار القصير ما بين العالمين الرائدتين في التحليل النفسي العربي مصطفى صفوان وعدنان حب الله :

يتساءل حب الله من موقع العارف : "لماذا يخاف المجتمع العربي من التحليل النفسي هل لأنه يعتبر اللاوعي شيئاً مخيفاً؟" يجيب صفوان: "الشعوب العربية خارجة عن التحليل النفسي خروجها عن الزمن. وإذا تكلمت عن الحكومات العربية، هذه الدول لا تتبع إلا النهج التضليلي وأهم شيء عندها هو الاستمرار في نشر الجهل.

كما هي العادة إزاء كل اكتشاف عظيم فق ينقسم الناس إلى صنفين :

- صف معادٍ ينفي أية قيمة للاكتشاف .

- وصف مؤيد يضيء هالة القداسة على الاكتشاف وصاحبه

أمله ان تكون هناك إمكانيات أخرى للتعامل مع العلوم والاكتشافات العلمية بروح النقد العقلي لا النقل، وبعيدا عن التحيزات الأيديولوجية ليبقى العلم وتوظيفاته في تطور وممارسات مرنة .

#### مراجع الدراسة:

- 1- أحمد عبد الخالق (1968) : التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، مكتبة الانجلو، القاهرة .
- 2- بول جان ميشال بالي (1988) : تشكيلات اللاوعي، ترجمة : مصطفى كمال، مجلة بيت الحكمة، العدد الثامن، السنة الثانية، نوفمبر، المغرب .
- 3- روزان (1998) : سيجموند فرويد، المؤلفات الكاملة في التحليل النفسي، (1916-1920) المجلد دار النشر الجامعية الفرنسية، 1996، ص. 41-51. ) 5- فرويد وتوسك (1998) : عن أصول علم النفس التحليلي، ترجمة علي محمد الجندي، منشورات وزارة الثقافة في المهورية العربية السورية، دراسات فكرية (45)، دمشق .
- 4- جاك آلان ميلر (1983) : جاك لكان بين التحليل النفسي والبنوية ترجمة عبد السلام بن علي عبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 23 ديسمبر ويناير، القاهرة .
- 5- عدنان حب الله، حسين عبد القادر، عادل عقل (2000) : الطب النفسي العربي، تقديم وحوار مع الأستاذ مصطفى صفوان، منشورات المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية
- 6- سعيد الفراد نشر في طنجة الأدبية يوم 12 - 08 - 2014 البنيوية والتحليل النفسي: أية علاقة؟

- 7- فرويد (1917): محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية 1976
- 8- روبرت هاربر (1996): التحليل النفسي ترجمة سعيد جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 9- دانييل لاجاش (1957) : الجمل في التحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور وعبد السلام الفقاش، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 10 - مصطفى زيور (1986): في النفس، مجوئمة في التحليل النفسي دار النهضة العربية، بيروت
- 11- مصطفى صفوان وعدنان حب الله (2008) : "إشكاليات المجتمع العربي. قراءة من منظور التحليل النفسي" المركز الثقافي العربي ، بيروت .
- 12- مقابلة أجراها بير ديكس مع لكان في 26 نونبر 1966، وتم نشرها في مجلة "الأداب الفرنسية"، عدد 1159، شتنبر 1966.
- 13- مقابلة مع فرويد أجراها الصحفي روبر دو طراز، نشرت في اسبوعية "الأخبار الأدبية" (بالفرنسية)، بتاريخ مارس-أبريل 1923، ص : 1 - 2.
- 13 <http://elfakir-arab--nafs.blogspot.com/p/bloghttps://www.maghress.com>
- 14 -
- 15 - Lebanese Association for the Development Of Psychoanalysis- aldcop.org
- التجمع اللبناني لتطوير التحليل النفسي حول التحليل النفسي
- 16 - <http://elfakir-arab-nafs.blogspot.com>
- 17 -
- <https://www.alaraby.co.uk/diffah/opinions/2017/3/20/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89-%D8%B5%D9%81%D9%88%D8%A7%D9%86-%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D9%83%D8%B1%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A>

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMaecelina-Structuralism&DSM.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

## شعـن: منجزات خمسة عشرة عاماً من العطاء

الكتاب السنوي الخامس

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

" يجيبه صفوان: "الشعوب  
العربية خارجة عن التحليل  
النفسي خروجاً عن الزمن.  
وإذا تكلمت عن الحكومات  
العربية، هذه الدول لا تتبع إلا  
النمط التظليلي وأهم شيء  
عندها هو الاستمرار في نشر  
الجمل.

أمل أن تكون هناك إمكانيات  
أخرى للتعامل مع العلوم  
والاكتشافات العلمية بروع  
النقد العقلي لا النقل، وبعيداً  
عن التحييزات الأيديولوجية  
ليبقى العلم وتوظيفاته في تطور  
وممارسات مرنة .